مصر فى القرآن الكريم

ما وقع فى القرآن العظيم من الآيات الكريمة فى أخبار مصر فمن ذلك قوله تعالى :

﴿ ... ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ... ﴾ (١)

وقوله تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ ... ﴾ (٢)

وقوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام :

﴿ ... ٱدْخُلُوا۟ مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ ﴿٩٩﴾ ﴾ (٣)

وقال تعالى حكاية عن فرعون :

﴿ ... أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴾ (٤)

وقال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَوَّأْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مُبَوَّأَ صِدْقٍ ... ﴾ (٥)

يعنى مصر.

وقال تعالى :

﴿ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ... ﴾ (٦)

١- سورة البقرة : من الآية ٦١
2- سورة يوسف : من الآية ٢١ .
3- سورة يوسف : من الآية ٩٩ .
4- سورة الزخرف : من الآية ٥١
5- سورة يونس : من الآية ٩٣ .
6- سورة البقرة . من الآية ٦١

قال ابن زولاق : ذكر الله تعالى مصر في القرآن العظيم في ثمانية وعشرين موضعاً ، وقيل بل أكثر من ثلاثين موضعاً ، كناية أو تصريحاً.

وقال تعالى حكاية عن عيسى بن مريم عليهما السلام :

﴿ ... وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴿٥٠﴾ ﴾ [1]

يعني مصر

قال ابن أسامة : وليس الربى إلا بمصر ، والماء حين يرسب يكون الربى عليها القرى ، ولولا الربى لغرقت القرى .

أخرج ابن عساكر في " تاريخ دمشق " عن ابن عباس- رضي الله عنهما – أن عيسى عليه السلام، كان يرى العجائب من المعجزات في صغره ، ففشا ذلك في اليهود ، فنمّت به بنو إسرائيل ، فخافت عليه أمه من القتل ، فأوحى الله تعالى إليها أن تنطلق به إلى أرض مصر.

وقال تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام:

﴿ قَالَ ٱجْعَلْنِى عَلَىٰ خَزَآئِنِ ٱلْأَرْضِ ...﴾ [2]

يعني أرض مصر.

وقال تعالى :

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِى ٱشْتَرَىٰهُ مِن مِّصْرَ لِٱمْرَأَتِهِۦٓ أَكْرِمِى مَثْوَىٰهُ..﴾[3]

1- سورة المؤمنون من الآية ٥٠ .
2- سورة يوسف من الآية ٥٥ .
3 - سورة يوسف من الآية ٢١ .

وقال تعالى :

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا... ﴾ (١)

وقال تعالى : ﴿وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِى ٱلْأَرْضِ ...﴾ (٢)

يعنى مصر.

وقال تعالى :

﴿ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ... ﴾ (٣)

يعنى أرض مصر.

وقال تعالى :

﴿ ...عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ (٤)

يعنى أرض مصر.

وقال تعالى :

﴿...إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ...﴾ (٥)

يعنى أرض مصر.

وقال ابن عباس رضى الله عنهما : سميت مصر بأرض فى عشرة مواضع من القرآن العظيم.

1- سورة يونس : من الآية ٨٧ .
2 - سورة يوسف : من الآية ٥٦ .
3 - سورة القصص : من الآية ٤ .
4 - سورة الأعراف : من الآية ١٢٩ .
5 - سورة القصص : من الآية ١٩ .

وقيل ذكرت فى اثنى عشر موضعاً.

وقال تعالى :

﴿ كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ ﴾ [1]

قال الكندى : لا يعلم بلد فى أقطار الأرض أثنى الله تعالى عليه فى القرآن العظيم بالمقام الكريم غير مصر.

وقال تعالى :

﴿ فَأَخْرَجْنَاهُم مِّن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٧﴾ وَكُنُوزٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٥٨﴾ ﴾ [2]

قال أبو رهمة[3] : كانت الجنات بحافتى النيل من أوله إلى آخره ، فى الجانبين جميعاً ، ما بين أسوان إلى رشيد ، لا ينقطع منها شئ عن شئ ، وكان جميع أراضى مصر تروى يومئذ من ستة عشر ذراعاً أعاليها وأسافلها ، لما دبروه من قناطر وجسور بالحكمة ، لا ينقطع الماء عن الخلجان صيفاً ولا شتاء ، وكان بها سبعة خلجان متصلة بعضها ببعض[4].

وأما المقام الكريم . قال بعض علماء التفسير : المقام الكريم هو الفيوم ، قيل كان بها ألف منبر من الذهب ، يرسم الوزراء يجلسون عليها فى المواكب .

وقال تعالى :

---

1 - سورة الدخان : ٢٥- ٢٦ .
2 - سورة الشعراء : ٥٧- ٥٨ .
3 - ذكره ابن عبد الحكم " أبو رهم السماعى " (فتوح مصر والمغرب ١/ ٧ - ٨)
4 - الإسكندرية ، وسخا ، ودمياط ، ومنف ، والفيوم ، والنهى ، ومرتوس .(المرجع السابق ١/ ٨)

﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ ...﴾ [1]

قال بعض علماء التفسير: المراد بالمكان المبارك فيه حول المسجد الأقصى " مصر " ، ولكن الآية أعم من ذلك .

1 - سورة الإسراء : من الآية ١ .

مصر في الأحاديث النبوية

فمن ذلك ما أخرجه مسلم عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ: " ستفتحون مصر ، وهي أرض يسمى فيه القيراط[1] ، فاستوصوا بأهلها خيرا، فإن لهم ذمة ورحما، فإذا رأيتم رجلين يقتتلان على لبنة ، فاخرج منها ".

قال : فمر أبو ذر بربيعة وعبد الرحمن ابني شرحبيل بن حسن[2] ، يتنازعان في موضع لبنة ، فخرج منها "[3] .

وأخرج عبد الله بن عبد الحكم ، من طريق ابن ذاخر المعافري، عن عمرو بن العاص عن عمر بن الخطاب ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال :" إن الله سيفتح عليكم بعدي مصر فاستوصوا بقبطها خيرا فإن لكم منهم صهراً وذمة"[4] . وفي رواية :" فإن لهم نسباً وصهراً " .

قال مروان القصاص : صاهر القبط من الأنبياء ثلاثة وهم : إبراهيم ﷺ تسرر بهاجر أم ولده إسماعيل ، وكانت من قرية أمام مدينة الفرما من قرى مصر ،

---

1 - القيراط قال العلماء القيراط جزء من أجزاء الدينار والدرهم وغيرهما.(صحيح مسلم بشرح النووي ٩٦/١٦).

2 - هو شرحبيل بن حسنة .

3 - رواه مسلم في صحيحة عن أبي بصرة عن أبي ذر، الحديث ٤٦١٥ ، وأحمد في مسنده ٢١٥٦٠ ، وقد جاء في صحيح ابن حبان من طريق أبي ذر أيضا ٦٦٧٦ .
قال النووي الذمة هي الحرمة والحق ، وهي هنا بمعنى الذمام ، وأما الرحم فلكون هاجر أم اسماعيل منهم ، واما الصهر فلكون ماوية أم ابراهيم منهم. (صحيح مسلم بشرح النووي ٩٦/١٦).

4 - أورده ابن عبد الحكم ، وقال :" حدثنا سعيد بن عيسرة عن إسحاق بن الفرات ، عن ابن لهيعة ، عن الأسود بن مالك الحميري ، عن بجير بن ذاخر المعافري ، عن عمرو بن العاص ، عن عمر بن الخطاب ، وذكر الحديث وأغلب ما جاء في المعنى من طرق أبي ذر (فتوح مصر والمغرب ١/ ٣).

ويوسف عليه السلام تزوج بنت صاحب عين شمس وهي من قرى مصر، ورسول الله ﷺ تسرى بمارية[1] أم ولده إبراهيم.

وكانت من قرية أنصنا[2] من قرى الصعيد، وكان اسمها مارية بنت شمعون وكانت جميلة الصورة شديدة بياض اللون، فأحبها رسول الله ﷺ حباً شديداً، ولما دخل عليها حملت منه بإبراهيم وعاش ثمانية عشر شهراً.

ولما مات قال رسول الله ﷺ: " لو بقي إبراهيم ما تركت قبطياً إلا وضعت عنه الجزية[3]" .أخرج هذا الحديث عبد الله بن عبد الحكم[4]، عن راشد بن سعد. وقال:هذا حديث حسن غريب.

وأخرج ابن عبد الحكم، عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: " إذا فتح الله عليكم مصر فاتخذوا فيها جنداً كثيفاً، فذلك الجند خير أجناد الأرض ".

فقال أبو بكر: " ولمَ يا رسول الله ".

قال: " لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة "[5].

أورد هذا الحديث ابن زولاق في فضائل مصر بلفظ:" لأنهم وأزواجهم في رباط إلى يوم القيامة ".[6]

---

1 - ذكره ابن عبد الحكم من طريق عثمان بن صالح قال :أخبرنا مرو ن القصاص. (فتوح مصر والمغرب ١/ ٥).
2 - أنصنا: مدينة أزلية من نواحي الصعيد على شرقي النيل . (معجم البلدان ١/ ٢٦٥).
3 - روى عن ابن عباس قال : لما مات إبراهيم بن رسول الله ﷺ قال : إن له مرضعاً في الجنة ولو عاش لكان صديقا نبيا ، ولو عاش لعتقت أخواله القبط وماسترق قبطي ". (سنن ابن ماجه ١/ ٤٨٤) .
4 - قال ابن عبد الحكم : حدثنا عبد الملك بن عباس عن أبي بكر بن أبي مريم ، وذكر الحديث .(فتوح مصر والمغرب ١/ ٧٥).
5 - ذكره المتقي الهندي في " كنز العمال ٣٨٢٦٢ " ، وقال :" جندا كثيرا ".
6 - أورده ابن زولاق في " فضائل مصر وأخبارها ، باب ما روى عن رسول الله ﷺ في ذكر مصر ص ٦ " .

أرض مصر وجهاتها

قال ابن حوقل فى كتاب "الأقاليم" :إن حد إقليم مصر الشمالى من برقة إلى منتهى الواحات السبع ، ويمتد إلى بلاد النوبة ، من حد أسوان إلى منتهى بحر الروم، عند ثغر دمياط إلى ساحل رشيد إلى الإسكندرية، آخذاً جنوباً إلى ظهر الواحات إلى حدود النوبة .

والحد الشرقى من بحر القلزم[1] قبالة أسوان إلى عيذاب إلى القصير إلى تيه بنى إسرائيل ، ثم يعصف شمالاً إلى بحر الروم من عند الحفائر التى هناك خلف العريش ، وينتهى إلى ثغر دمياط إلى رشيد والإسكندرية ، ثم ينعطف إلى برقة من الساحل حيث ابتدأ منه .

قال أبو الصلت أمية الأندلسى : كان إقليم مصر متصلاً بالعمارة على شطى النيل كأنها مدينة واحدة مشتبكة بالأشجار المثمرة ،والفواكه اليانعة ، والقرى العامرة حتى كان المسافر يسير من ثغر الإسكندرية إلى مدينة أسوان بلا زاد ، يسير فى ظل من الأشجار ، وقرى عامره لا يحتاج فيها إلى زاد يحمله معه .

---

1 - القلزم : السويس ، تقع السويس على بعد ١٤٠ كيلو متر من مدينة القاهرة ، وتعرف بموقعها المتميز على المدخل الجنوبى لقناة السويس على البحر الأحمر (طرق مصر المقدسة ص ٣٣)

عجائب مصر

قال القضاعى : ذكر الجاحظ أن عجائب الدنيا ثلاثون أعجوبة، عشرة منها فى سائر الدنيا ، والباقى منها بمصر فمن ذلك الهرمان وهما بالجيزة .

ومنها صنم الهرمين الذى يقال له عند العوام : أبو الهول . ومنها المنار الذى كان بالإسكندرية وما فيه من العجائب ، وما كان بثغر الإسكندرية من الملعب وعمود السوارى ، ومنها مدينة منف [1] وما كان بها من العجائب والرخام والدفائن والكنوز وغير ذلك من آثار الملوك القدماء ، وهى أول مدينة عمرت بأرض مصر بعد الطوفان .

منها مدينة الفيوم التى قد دبرت بالوحى على يد يوسف عليه السلام وأحكمها على ثلاثمائة وستين قرية ، على عدد أيام السنة لتغل كل قرية منها على أهل مصر يوما ، وكان انتهاء العمل منها فى سبعين يوماً ، فتعجب الناس من ذلك وقالوا : هذا كان يعمل فى ألف يوم فسميت حينئذ الفيوم [2] .

ومنها النيل وهو من أعظم عجائبها فى نقصانه فى الشتاء وزيادته فى الصيف ، ومنافعه تعم سائر البلاد لما يجلب إليها من الغلال . وبه أعجوبة وهو

---

1 - مدينة منف : كانت الحصن القوى الذى كان على الغزاة من الإثيوبيين والفرس والأشوريين أن يستولوا عليه قبل السيطرة الحقيقية على مصر ، وكانت تصنع بها أسلحة القتال وتسمى بها سعن الأسطول ، أما الآن فلم تعد منف - التى تقع على مسافة ٢٨ كم جنوب القاهرة - سوى منخفض منبسط يظلله النخيل .(معجم الحضارة المصرية القديمة ص ٣٢١).

2- نقل المقريزى ، عن المسعودى أن معنى الفيوم ألف يوم ، ونقل أيضا عن القضاعى القصة التى ذكرها ابن إياس فى بناء الفيوم .(الخطط المقريزية ١ / ٢٤٧) .

" وليس بأرض مصر مدينة يجرى فيها الماء دائما غير الفيوم ، وهى مدينة وسطة ، يقال إن يوسف النبى عليه السلام اتخذ لهم مجرى يدوم لهم فيه الماء " . (المسالك والممالك ص ٤٠).

وعن أصل اسم الفيوم انظر (طرق مصر المتدسة ص ص ١٠٨ - ١٠٩) .

البرزخ[1] الذى عند ثغر دمياط لأن البحر العذب ينصب فى البحر المالح ولا يختلط أحدهما بالآخر . بل يشاهد كل منهما متميزاً عن الآخر بمسافة طويلة، ثم يغوص بحر النيل فى البحر المالح ولا يختلط ، بل يجرى تحته متميزاً عنه كالزيت مع الماء وهو قوله تعالى :

﴿ مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ۝ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴾ [2]

أى لا يغلب الملح على العذب فيفسد حلاوته ، ولا يغلب العذب على الملح فيفسد مرارته، فسبحان القادر على كل شئ.

وقد قال الشاعر:

ويـأمره البحـــران يلتـقيـــان ... لا يبغى على عذب مرور أجاج

---

1 - البرزخ : الحاجز بين شيئين ، وفى علم الجغرافية : قطعة أرض ضيقة محصورة بين بحرين ، موصلة بين أرضين .(المعجم الوسيط ٥٠/١).

2 - سورة الرحمن : ١٩، ٢٠.

أعمال الديار المصرية وكورها ***

قال عبد الله بن عبد الحكم : اعلم أن أرض مصر كانت فى الزمن الأول تشتمل على مائة وخمسين كورة ، وثلثماية[1] وخمس وستين قرية ، كل قرية تصلح أن تكون مدينة على انفرادها .

وقد قال تعالى :

﴿..وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ﴿٣٦﴾﴾[2]

فخرب منها قبل دخول بخت نصر إليها ثمان وستون كورة ، فلما عمرت بعد تخريب بخت نصر لها ، صارت تشتمل على خمس وثمانين كورة ، ثم تناقصت حتى جاء الإسلام ، وفيها أربعون كورة عامرة ، ثم استقرت أرض مصر كلها على قسمين، الوجه القبلى والوجه البحرى.

*** جاء فى المصباح المنير فى غريب الشرح الكبير أن " الكورة : يطلق على المدينة والجمع كور مثل غرفة وغرف " (٢/٧٤٦).
والبقعة التى يجتمع فيها قرى ومحال . (المعجم الوسيط ٢/ ٨٣٦).

1 - لم نغير فى المتن سوى من " ثلثماية " إلى " ثلثمائة " فيما سيأتى بعد ذلك .
قال ابن خرداذبه فى " المسالك والممالك " : كور مصر كورة منف ووسيم كورة دلاص كورة الشرقية كورة بوصير كورة الفيوم كورة أهناس كورة القيس كورة طحا كورة الأشمونين كورة سيوط كورة قهتى كورة البهنسى كورة أخميم والدير كورة أبشاية كورة هو وقفى كورة قفط والقصر كورة أسنى وأرمنت وسباية كورة أسوان كورة سباية المغرب كورة باب النوبة كورة الإسكندرية والقلزم والطور وأيلة كور مصيل والعليدس ، كورة قرطسا كورة خربتا كورة الدقون كورة صا وشباس كورة سخا كورة تنيده كورة الأفراحون كورة لوبيان كورة الأوسية كورة طوه كورة صوف السفلى كورة دمسيس كورة منوف العليا كورة أتريب كورة عين شمس كورة فرسطا كورة تتا وتمى كورة سمنود كورة صان وابليل كورة البجوم كورة صحيرة كورة فرهلة كورة أخنا ورشيد والحوف الشرقى والحوف الغربى والبحيرة وأسفل الأرض وبطن الريف والبشرود والصعيد وتنيس ودمياط على البحر والفرما ونقيلة وبطيرة وقيرة وبسطة وأطرابية وقريط والحبس والدقون والشراك وترنوط وشطورف وبرنيل وأنصا وشطف ودمروه وبوميا وتونه وشطا ودبيق.

2 - سورة الشعراء من الآية ٣٦

وقد قسمت أرض مصر جميعها ، قبليها وبحريها على ستة وعشرين عملاً شرقيها وغربيها وقبليها وبحريها .

وادى هبيب :

هذا الوادى بالجانب الغربى من أرض مصر فيما بين مريوط والفيوم ، وكان يجلب منه الملح ، وكان به مائة دير للنصارى ، قيل لما فتح عمرو بن العاص مصر خرج إليه من وادى هبيب سبعمائة راهب يطلبون منه الأمان ، فكتب لهم أماناً وبقى عندهم يتوارثونه.

صحراء عيذاب :

اعلم أن الحجاج أقاموا نحواً من مائتى سنة ، لا يتوجهون إلى مكة إلا من صحراء عيذاب ، يركبون النيل فى المراكب إلى قوص[1] ، ثم يركبون الإبل من قوص إلى عيذاب ، وينزلون فى الجلبات إلى ساحل جدة ومن جدة إلى مكة ، ولم تزل مسلكاً للحجاج ذهاباً وإياباً من سنة خمسين وأربعمائة ، إلى سنة ستين وستمائة ، وذلك عندما انقطع الحاج من البر فى دولة الفاطميين[2] .

---

1 - كان إقليم قوص فى العصر الإسلامى مترامى الأطراف تبلغ مساحته فى الطول – كما يقول الإدفوى – مسيرة اثنى عشر يوماً بسير الجمال السير المعتاد ، وأما عرضه فثلاث ساعات وأكثر وأقل بحسب العصر من الأماكن، ويمتد شرقا حتى يصل إلى البحر المالح " الأحمر " وغربا حتى الواحات ويتجه شمالاً حتى مرج بنى هميم المتصل بأراضى جرجا من عمل أخميم ، وينتهى جنوبا بمدينة أسوان .(قوص فى التاريخ الإسلامى ص ١٥).

2 - " وذلك منذ كانت الشدة العظمى فى أيام الخليفة المستنصر بالله أبى تميم معد بن الظاهر وانقطاع الحج فى البر ". (الخطط المقريزية ١/ ٣٠٢).

أهناس :

هذه المدينة دخلت إليها مريم أم عيسى عليه السلام وبها النخلة التى كانت تتضع لهما الزيت حتى يتفوتون به .

القيس :

قال ابن عبد الحكم : لما بعث عمرو بن العاص رضي الله عنه قيس بن الحارث[1] إلى الصعيد نزل بهذه القرية فسميت به .

وكان يعمل بها الأكسية العسلية ، من صوف المعز ، تُغنى فى الشتاء عن لبس الفراء.

مدينة البهنسا :

هذه المدينة من أجل مدائن القبط ، قيل إن مريم وابنها عيسى – عليهما السلام – أقاما بها سبع سنين ، وقيل هى الربوة التى آوى إليها المسيح .

مدينة المنصورة :

هذه المدينة على بحر أشموم تجاه طلخا بناها الملك الكامل محمد بن العادل أبى بكر بن أيوب سنة عشرين وستمائة[2] عند استيلاء الفرنج على ثغر دمياط ، وبنى بها الأسواق وبنى بها الحمامات والفنادق ، ولما انتصر على الفرنج سماها من حينئذ المنصورة ، وبنى بها قصراً على البحر كان يجلس فيه عند توجهه إلى دمياط .

1- قيس بن الحارث : شهد فتح مصر ، روى عن عمر بن الخطاب ، وكان يفتى الناس فى زمانه ، وهو الذى فتح القرية بصعيد مصر المعروفة بالقيس فنسبت إليه . (الخطط المقريزية ٢٠٤/١)

2 - قال المقريزى :" بناها فى سنة ست عشرة وستمائة ".(المرجع السابق ٢٣١/١).

مدينة دمياط :

فتحت هذه المدينة على يد المقداد بن الأسود ﷺ بعد فتح مصر سنة اثنين وعشرين من الهجرة . وكان بها ملك يقال له الهاموك -وهو خال المقوقس صاحب مصر- وكان للهاموك ولد يسمى شطا فرأى النبى ﷺ فى المنام . فلما أصبح نزل إلى المقداد بن الأسود وأسلم على يديه وحسن إسلامه، وصار عوناً للمسلمين[1] .

مدينة بلبيس :

وسميت فى التوراة أرض حاشان ، قيل إن يعقوب ﷺ لما قدم إلى مصر نزل بها ، وكانت عامرة فى غاية العمارة إلى سنة ست وثمانمائة فتلاشى أمرها من بعد ذلك [2].

مدينة الصالحية :

هذه المدينة عمرت فى الإسلام ، عمرها الملك الصالح نجم الدين أيوب بن الملك الكامل محمد ، سنة أربع وأربعين وستمائة .

---

1 - لما أسلم شطا خرج إلى البرلس والدميرة وأشموم ، فحشد أهل تلك النواحى وقدم بهم مددا للمسلمين وعونا لهم ، وسار بهم مع المسلمين لفتح تنوس ، فقتل فى المعركة. انظر (الخطط المقريزية ١/ ٢١٣- ٢١٤).

2- ذكر المقريزى عن الواقدى أن المقوقس زوج ابنته أرمانوسة من قسطنطين بن هرقل، وجهزها بأموالها وحواريها وغلمانها وحشمها لتسير إليه حتى يبنى عليها فى مدينة قيسارية وهم محاصرون لها ، فخرجت إلى بلبيس وأقامت بها وبعثت حاجبها الكبير فى ألفى فارس إلى الفرما ليحفظ الطريق ولا يدع أحدا من الروم ولا غيرهم يعبر إلى مصر ، وبعث المقوقس رسله إلى أطراف بلاده مما يلى الشام أن لا يتركوا أحدا يدخل أرض مصر مخافة أن يتحدثوا بغلبة المسلمين على الشام فيدخل الرعب فى قلوب عساكره ، فلما قدم عمر بن الخطاب الحابية وسار عمرو بن العاص إلى مصر نزل على بلبيس وبها أرمانوسة ابنة المقوقس فقاتل من بها ، وأخذت أرمانوسة وجميع مالها وسائر ما كان للقبط فى بلبيس فأحب عمرو ملاطفة المقوقس فسير إليه ابنته أرمانوسة مكرمة فى جميع مالها مع قيس بن أبى العاص السهمى ".(المرجع السابق ١/١٨٣- ١٨٤).

من دخل مصر من الأنبياء عليهم السلام

قال الكندى فى كتاب " فضائل مصر ": دخل مصر من الأنبياء ثلاثين نبياً - عليهم السلام - منهم إدريس ويقال له هرمس ، وإبراهيم الخليل وفى بعض الأخبار أن إسماعيل بن إبراهيم دخل مصر أيضاً ، ويعقوب ويوسف واثنا عشر من ولد يعقوب عليهم السلام ، وهم الأسباط ولوط ﷺ ، وولد بها موسى وهارون ويوشع بن نون عليهم السلام ، ودخلها دانيال وأرميا وعيسى بن مريم ﷺ وسليمان بن داود.

ومن أهلها جلساء فرعون وفضيلة عقولهم ، فلما استشارهم فرعون فى أمر موسى وهارون

﴿ قَالُوٓاْ أَرۡجِهۡ وَأَخَاهُ وَأَرۡسِلۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۝ يَأۡتُوكَ بِكُلِّ سَحَّارٍ عَلِيمٍ ﴾ [1]

وأين هذا من قول أصحاب النمرود لما استشارهم فى أمر إبراهيم الخليل فأشاروا بقتله حيث قالوا :

﴿ .... حَرِّقُوهُ وَٱنصُرُوٓاْ ءَالِهَتَكُمۡ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ﴾ [2]

ومن أهلها السحرة الذين آمنوا بموسى ﷺ فى ساعة واحدة مع كثرتهم.

قال ابن عبد الحكم : كان عدتهم هم وعرفاؤهم مائتى ألف وأربعين ألفاً ، وهذا من رقة قلوب أهل مصر [3].

1- سورة الأعراف: ١١١، ١١٢.
قال ابن عباس " أرجه " أخره ، وقال قتادة : احبسه ..." (تفسير القرآن العظيم ٢/٢٢٧).
2- سورة الأنبياء من الآية ٦٨.
3- نقل ابن عبد الحكم أنه " لا تعلم جماعة أسلمت فى ساعة واحدة أكثر من جماعة القبط ".(فتوح مصر والمغرب ١/٦). " كانوا بضعة وثلاثين الف رجل ". (تاريخ الطبرى ١/٤٣٦).
قال الكندى " وروى أنه لم يفتن رجل واحد منهم كما افتتن بنو إسرائيل بعبادة العجل" (فضائل مصر المحروسة ص : ١)

وأما ما كان من أهلها من النساء زليخا ومحبتها ليوسف عليه السلام .

وآسية امرأة فرعون التي مدحها الله تعالى في القرآن العظيم [1] .

وأم موسى عليه السلام . وكان اسمها ريحانة .

ودخل مصر من النساء سارة زوج إبراهيم عليه السلام ، ومريم أم عيسى عليه السلام ومن أهلها ماشطة بنت فرعون حين آمنت بموسى عليه السلام فتمشطها فرعون بأمشاط الحديد ، كما يمشط الكتان وهي ثابتة على إيمانها بالله تعالى ، وابنها الذي شهد ليوسف وهو في المهد ومن أهلها جريج صاحب الصومعة .

روى ابن عباس رضي الله عنهما قال : قال رسول الله ﷺ " لما كانت ليلة أسري بي أتيت على رائحة طيبة فقلت : يا جبريل ما هذه الرائحة الطيبة؟

قال : هذه رائحة ماشطة بنت فرعون وأولادها "[2].

1- في الآية الكريمة: ﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾ سورة التحريم الآية ١١

2- الأطر ف الأولى من الحديث رقم ٢٨٢٢ (مسند الإمام أحمد ٣٠٩/١)

من كان بمصر من الحكماء فى أول الدهر

قال الكندى : كان بمصر من الحكماء هرمس وهو إدريس عليه السلام ، وقد جمع بين النبوة والملك والحكمة.

وكان بها من الحكماء أغاثيمون وفيثاغورث. وهما تلاميذ هرمس وإليهم يعزى علم الكيمياء والنجوم وعلم السحر والروحانيات والطلمسات وأسرار الطبيعة. ومنهم أرسلاوس وبندقليس أصحاب الكهانة والسحر ومنهم سقراط صاحب الكلام على الحكمة .

ومنهم أفلاطون صاحب السياسة ، والكلام على المدن والأقاليم وغير ذلك ، ومما وقع له من النكت اللطيفة أنه رأى امرأة مصلوبة على شجرة فقال : ليت على كل شجرة مثل هذه الثمرة .

ومنهم أرسطاليس صاحب المنطق ، ومنهم بطليموس صاحب الرصد والحساب ، وتركيب الأفلاك ، وتسطيح الكرة ، ومنهم أراطس صاحب صور الفلك .

ومنهم أفلطينوس صاحب الفلاحة ، ومنهم أبرجيس صاحب المعرفة بذات الخلق ، ومنهم تاول صاحب الريح ، ومنهم داماينوس ، ووالس ، واصطقر أصحاب كتب النجوم .

ومنهم أنذربه صاحب الهندسة والمقادير والآلات لقياس الساعات ، ومنهم قليور صاحب عمل الدواليب ، ومنهم أرمسيس صاحب المنجنيقات التى يرمى بها على الحصون ، ومنهم قليطر وصاريه أصحاب الطلسمات والبرابى .

ومنهم إيلونيوس صاحب المخروطات ، ومنهم تابوشيش صاحب الأكرة ، ومنهم قيطس صاحب الأفلاك ، ومنهم أفطوقس صاحب كتاب الأسطوانية .

ودخلها وأقام بها جالينوس[1] صاحب الطب ، وإلينوس ، وديسقوريدس صاحب الحشائش ، ومنهم روحاش . والأنماى ، وأساسيوس ، وقرهونوس وهم من حكماء اليونان ، وسقراط ، وبقراط ، وقس بن ساعدة حكيم العرب .

وأما حكماء الإسلام : الريس أبو على بن سينا صاحب القانون فى الطب ، قيل لما مات كتب على قبره هذه الأبيات :

قد قلت لما قال لى قائل ... صار ابن سينا إلى رمسه

فأين ما يوصف من طبه ... وحدثه بالماء مع جنسه

هيهات لا يدفع عن غيره ... فكيف أن يدفع عن نفسه

ومنهم شرف الدين بن السديد ، وفخر الدين الفارسى ، والخونجى ، وضياء الدين بن البيطار صاحب المفردات فى الطب ، والتبريزى ، وضياء الدين القرمى ، والغازى .

والشيخ علاء الدين بن نفيس صاحب الموجز فى الطب ، وكانت وفاة الريس علاء الدين بن نفيس فى ذى القعدة سنة سبع وثمانين وستمائة ، وغير ذلك من الحكماء فى دولة الإسلام .

1- جالينوس : نبغ جالينوس فى القرن الثانى الميلادى ، وكان أشهر أطباء عصره ويلى فى الشهرة العالمية أبقراط الطبيب ، وقد بحث وكتب فى الطب والتشريح والمنطق والأخلاق والفلسفة ، ولد بمدينة برغامة قرب الأناضول عام ١٣٠ م وتوفى عام ٢٠٠ م .(أعلام من الإسكندرية ص ص ٩٢ – ٩٥).

من دخل مصر من الصحابة والتابعين

قال الإمام محمد بن الربيع : دخل مصر من الصحابة مائة ونيف وأربعين رجلاً .

قال الشيخ جلال الدين الأسيوطى : وقفت على كتاب محمد بن الربيع ورأيت ما أورد فيه ممن دخل مصر من الصحابة فتبعت ذلك من تأليف المتقدمين فزدت فى العدد على كتاب ابن الربيع حتى بلغ العدد ثلاثمائة وكسور ممن دخل مصر من الصحابة .

قلت : وقفت على كتاب جلال الدين فرأيته قد طال فى هذا المعنى ، فأحببت أن أذكر فى هذا التاريخ جماعة من أعيان الصحابة رضى الله عنهم ممن دخل مصر ومات بها واقتصرت على ذلك خوف الإطالة ، ولكن أوردت وفاة كل واحد منهم فى السنة التى مات بها ، على توالى السنين فى مواضعه.

من فضائل مصر

من فضائلها ألقى موسى عصاه بها ، وانفلق البحر له، وبها الوادى المقدس ، والطور الذى كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام .

ومن فضائل مصر أن بها الأهراء[1] التى كان يخزن فيها يوسف القمح فلا يفسد ، وبها الجدار الذى بناه يوسف لرد الماء عن مدينة الفيوم.

وقيل إن بمصر قبر زليخا امرأة يوسف عليه السلام ، وأقام يوسف مدفوناً بمدينة الفيوم ثلاثمائة سنة حتى نقل عظامه موسى عليه السلام إلى بيت المقدس [2] .

ودفن بها آسية امرأة فرعون ، وزليخا زوجة يوسف عليه السلام ، وبرحانة أم موسى عليه السلام ، ودفن بها السيدة نفيسة .

ومن فضائل مصر أن دفن بها جماعة من أولاد يعقوب عليه السلام ، ودفن بها جماعة كثيرة من الصحابة رضي الله عنهم، ونقلت إليها رأس الحسين بن بنت رسول الله ﷺ من عسقلان سنة تسع وأربعين وخمسمائة .

ودفن بها من العلماء والصلحاء مالا يحصى عددهم ، منهم الإمام الشافعى محمد بن إدريس رضي الله عنه .

---

1 - الأهراء : هى الأماكن التى يخزن بها الغلال والأثبان الخاصة بالسلطان احتياطيا للطوارئ الاقتصادية، وكانت لا تفتح إلا عند الضرورة.(مصطلحات صبح الأعشى ٥٢).

2- قال ابن كثير : لما حضر يوسف عليه السلام الوفاة ، أوصى أن يحمل معهم إذا خرجوا من مصر فيدفن عند آبائه ، فحنطوه ووضعوه فى تابوت ، فكان بمصر حتى أخرجه معه موسى عليه السلام ، فدفنه عند آبائه .(البداية والنهاية ٢٢٦/١ ونصه ٢٨٢/١)، وانظر (تاريخ الطبرى ٤٤٢/١- ٤٤٦).

ومن فضائل مصر أن الرخامة الخضراء الفستقى التى فى حجر إسماعيل عند الكعبة أصلها من مصر ، بعث بها محمد بن ظريف مولى العباس بن محمد إلى مكة سنة إحدى وأربعين ومائتين، وبعث معها رخامة أخرى فستقى وضعت فوق سطح الكعبة [1] .

ومن فضائل مصر أنها توسع على أهل الحرمين بما يجلب منها إليهم من الغلال فى البحر، يحمل فى السفن دفعة واحدة ما لا يحمله خمسمائة بعير.

ومن فضائل مصر قال أبو بصرة الغفارى : سلطان مصر سلطان الأرض كلها، وله ميزة على سائر ملوك الأرض لكونه خادم الحرمين . فتشرف على الملوك بذلك .

وفيه يقول شمس الدين الدمشقى :

إذا البلاد افتخرت لم تزل مصر لها عز وتفضيل

وكيف لا تفخر مصر وفى أرجائها السلطان والنيل

وقال القضاعى : لم يكن فى الأرض أعظم من مُلك مصر ، ولو ضرب بينها وبين سائر البلاد سور لاستغنى أهلها بما فيها عن سائر البلاد ، وهى أكثر البلاد كنوزاً وعجائب وآثاراً من البرابى والطلمسات ، وذلك لما فيها من الحكم والعجائب ، وغير ذلك .

1- انظر (الخطط المقريزية ١/ ٢٨- ٢٩).

محاسن مصر

قال كعب الأحبار: من أراد أن ينظر إلى شبه الجنة فلينظر إلى أرض مصر في زمن ربيعها قبل طلوع الشمس.

وسئل بعض الحكماء: متى تطيب أرض مصر؟.

قال: إذا اعتدل هواؤها، وطاب مرعاها، وارتفع وباؤها وأزهرت أشجارها، وغردت أطيارها، يعني في فصل الربيع.

قال المسعودي في "مروج الذهب": وصف بعض الحكماء أرض مصر فقال: ثلاثة أشهر لؤلؤة بيضاء، وثلاثة أشهر مسكة سوداء، وثلاثة أشهر زمردة خضراء، وثلاثة أشهر كهربة صفراء.

فأما اللؤلؤة البيضاء فإن أرض مصر تصير في شهر أبيب ومسرى وتوت بيضاء لما يركبها ماء النيل، ويفترش على أرضها، وتصير الضياع[1] مثل الكواكب في السماء، فلا يصل إليها أهلها إلا في الزوارق[2].

وأما المسكة السوداء فإن أرض مصر في شهر بابة وهاتور وكيهك، ينصرف عنها الماء فتصير مثل المسكة السوداء، ولها روائح طيبة تشبه روائح المسك.

وأما الزمردة الخضراء فإن أرض مصر في شهر طوبة وأمشير وبرمهات، تصير بالزرع مثل الزمردة الخضراء.

1- الضيعة: الأرض المغلة. (المعجم الوسيط ٥٦٧/١).

2- الزورق: القارب يدفع بالمجاديف أو بالآلة، الجمع زوارق. (المرجع السابق ٤٠٧/١).

وأما الكهرية الصفراء فإن أرض مصر في شهر برمودة وبشنس وبؤونة ، يدرك الزرع ويحصد ، فيصير مثل السبيكة الذهب الصفراء .

فهذه صفة أرض مصر في الأربعة فصول من السنة.

قال الكندى : مصر أعلاها حجازية ، وأسفلها شامية ، إن أهلها لا يحتاجون في الشتاء إلى التدفي بالنار كعادة أهل الشام ، ولا في الحر التظلل تحت الخيش[1] من حر الشمس، كعادة أهل الحجاز.

ومن مأكولها الرطب ، وهو يغنى عن أكل الحلوى معه ، وبها التين والجميز.

وليس في الدنيا بلد فيها نخيل بلح مثل إقليم مصر ، يأكلون من ثمره البسر[2] ، والرطب ، والتمر على أنواع والعجوة ، وينتفعون بخشبها ، وجريدها ، وخوصها ، وليفها، ويعمل منه جملة أنواع مفيدة لا يستغنى عنها أحد من الناس،وهى عمارة مصر.

ومن محاسن مصر : العسل النحل المصرى ، روى عن رسول ﷺ أنه أهدى إليه المقوقس- صاحب مصر- هدية ، ومن جملتها عسل نحل من بنها ، فلما أكل منه أعجبه ، فقال:"من أين هذا العسل " ؟.

فقيل له : من قرية من قرى مصر يقال لها بنها.

فقال :"بارك الله في بنها وفي عسلها[3]".فعمت هذه الدعوة سائر قرى مصر.

1- الخيش : " ثوب تتخذ من مشاقة الكتان ...". (المعجم الوسيط ١/٢٧٤).
والمشاقة :" ما سقط من الشعر والكتان ونحوهما عند المشط ". (المرجع السابق ٢/٩٠٧).

2- البسر : " تمر النخل قبل أن يرطب .. ". (المرجع السابق ١/٥٧).
قال الإصطخرى : " بها نخيل وثمار كثيرة ، وزروعهم على ماء النيل ، تمتد فتغمر المزارع من حد أسوان إلى حد الإسكندرية وساثر الريف ". (المسالك والممالك ص ٤٠).

3 - لم أقف على صحته فيما بين يدى من المراجع .

قال الكندى : مصر تشتمل على ثلاث مدن ، وهى مدينة الفسطاط التى أنشأها عمرو بن العاص ﷺ ، والقاهرة التى عمرها جوهر القائد للمعز الفاطمى ، وقلعة الجبل التى بناها قراقوش للملك الناصر صلاح الدين يوسف بن أيوب .

ومن محاسن مصر أيضاً البيمارستان [1] المنصورى الذى هو من محاسن الزمان لا يستغنى عنه الغنى ولا الصعلوك، وليس فى الدنيا آثار حسنة وخير مثله وقد عد من محاسن مصر أيضاً[2].

1- " المارستان بيت المرضى- نقله المقريزى عن الجوهرى فى " الصحاح ". وأول من بنى المارستان وكار المرضى الوليد بن عبد الملك ، وهو أيضا أول من عمل دار الضيافة ، وذلك فى سنة ثمان وثمانين ، وجعل فى المارستان الأطباء وأجرى لهم الأرزاق ، وأمر بحبس المجذومين لئلا يخرجوا ، وأجرى عليهم وعلى العميان الأرزاق. (الخطط المقريزية ٤٠٥/٤)

2- المارستان الكبير المنصورى : " هذا المارستان بخط بين القصرين(*) من القاهرة كان قاعة ست الملك ابنة العزيز بالله نزار بن المعز لدين الله ، أخذها الملك المنصور قلاوون الألفى الصالحى، وكان الشروع فى بنائها مارستانا أول ربيع الآخر سنة ثلاث وثمانين وستمائة" . (المرجع السابق ٤٠٦/٤).

وذهب المقريزى فى أن سبب بناء هذا المارستان أن الملك المنصور حينما توجه وهو أمير لقتال الروم فى أيام الظاهر بيبرس سنة خمس وسبعين وستمائة مرض مرضا شديدا وعندما عالجه الأطباء بأدوية أخذت من مارستان نور الدين الشهيد ، نذر إن أتاه الله الملك أن يبنى مارستانا، وعندما تولى الملك أوفى نذره وبنى هذا المارستان .

* الخط : الحارة ." واختط لنفسه دارا إذا ضرب لها حدودا ليعلم أنها له. (أساس البلاغة ٢٤٠/١).

وخط بين القصرين : هذا الخط أعمر أخطاط القاهرة وأنزهها وقد كان فى الدولة الفاطمية فضاء كبيراً ، يقف فيه عشرة الاف من العسكر ، فلما انقضت أيام الدولة الفاطمية وخلت القصور من أهاليها ونزل بها أمراء الدولة الأيوبية وغيروا معالمها ، صار هذا الموضع سوقاً مبتذلا ، بعدما كان ملاذا مبجلا . وقعد فيه الباعة بأصناف المأكولات . (الخطط المقريزية ٢٨/٣)

ما قاله الشعراء فى وصف مصر

نقل بعض المؤرخين أن بالقاهرة وما حولها سبع عشرة بركة يعمها النيل غير الخلجان .

وقال الصلاح الصفدى:

من شاهد الأرض وأقطارها ... والناس أنواعاً وأجناسا

ولا رأى مصراً ولا أهلها ... فما رأى الدنيا ولا الناسا

وقوله :

لم لا أهيم بمصر ... وأرتضيها وأعشق

وما ترى العين أحلى ... من مائها إن تملق

وقال الشهاب المنصورى :

اعملوا أهل مصر لله شكراً ... وقليل من العباد الشكور

إن مصر أسقى الإله ثراها ... بلد طيب ورب غفور

وقال بعضهم :

مصر لها الأفضال إذ لم تزل ... على العدا منصورة ظاهرة

ما غولبت كلا ولا قهرت ... إلا وكانت مصر والقاهرة

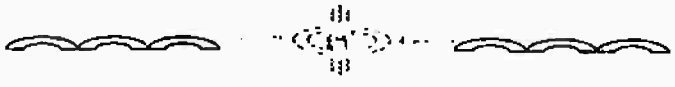

ما قيل فى أسماء مفترجات مصر

فمن ذلك ما قيل فى بركة الحبش [1] وهى من المفترجات القديمة .

قال أبو الصلت أمية الأندلسى:

لله يـــوم ببركـــة الحـــبش والأفـــق بـــين الضـــياء والغـــبش

والمـاء تحـت الريـاح مضـطرب كصـــارم فـــى يمـــين مـــرتعش

ما قيل فى الروضة [2] والمشتهى [3] قال ابن الصايغ الحنفى :

وليـلـة مـرت لـنـا حلـــوة إن رمت تشبيها بها عبتها

لا يبلغ الواصـف فى وصفها حـداً ولا يلقى لـها منتـهى

بـتُّ مع المعشوق فى روضـة ونلت من خرطومه المشتهى

1- بركة الحبش قال ابن سيده ، البركة : مستنقع الماء ، والبركة شبه حوض يحفر فى الأرض .
بركة الحبش هذه البركة كانت تعرف ببركة المغائر ، وتعرف ببركة حمير ، وتعرف أيضاً باصطبل قرة ، وعرفت أيضاً باصطبل قامش ، وهى من أشهر برك مصر ، وهى فى ظاهر مدينة الفسطاط من قبليها ، فيما بين الجبل والنيل ، وكانت من الموات فاستنبتها قرة بن شريك العبسى أمير مصر وأحياها و غرسها قصباً ، وصارت تعرف ببركة الحبش ، ارصدت لبنى حسن وبنى حسين ابنى على بن أبى طالب رضى الله عنه ، فلم تزل جارية فى الأوقاف عليهم. (الخطط المقريزية ١٥٢/٣).

2- الروضة: اعلم أن الروضة تطلق فى زماننا هذا على الجزيرة التى بين مدينة مصر ومدينة الجيزة ، وعرفت فى أول الإسلام بالجزيرة وجزيرة مصر ، ثم قيل لها حريرة الحصن ، وعرفت إلى اليوم بالروضة ، وإلى هذه الجزيرة انتقل المقوقس لما فتح الله تعالى على المسلمين القصر ، وصار بها هو ومن معه من جموع الروم والقبط ، وبها أيضاً بنى أحمد بن طولون الحصن، وبها كانت الصناعة يعنى صناعة السفن الحربية ، وبها كان الهودج*** الذى بناه الخليفة الأمر بأحكام الله لمحبوبته البنوية ، وبها بنى الملك الصالح نجم الدين أيوب القلعة الصالحية (المرجع السابق ١٧٧/٣- ١٧٨).

3- المشتهى : كان من مواضعهم – أى الخلفاء الفاطميين- التى أعدت للنزهة.(المرجع السابق ٤٩٠/٢) .

*** الهودج : يقال أن الخليفة الأمر كان قد ابتلى بعشق الجوارى العربيات ، وصارت له عيون فى البوادى ، فبلغه أن بالصعيد جارية من أكمل العرب وأظرف نسائهم شاعرة جميلة ، فيقال أنه تزيا بزى بداة الأعراب ، وصار يجول فى الأحياء إلى أن انتهى إلى حيها وبات هناك ، وتحيل حتى عاينها فما ملك صبره ورجع إلى مقر ملكه ، فأرسل إلى أهلها يخطبها ، فأجابوا إلى ذلك وزوجوها منه ، فلما صارت إلى القصور صعب عليها مفارقة ما اعتادت ، وأحبت أن تسرح طرفها فى الفضاء ، ولا تقبض نفسها تحت حيطان المدينة ، فبنى لها البناء المشهور فى جزيرة الفسطاط المعروف بالهودج .(المرجع السابق ٣ /١٨١- ١٨٢).

وكان من مفترجات مصر قديماً ، مكان يعرف بالتكة وخليج الذكر[1] وكان مكان الأزبكية الآن .

وفيه يقول المعمار:

يـا طالـب التكة نلـت المنى وفـزت منها ببلوغ الوطـر

قنطـرة مـن فوقهـا تـكـة وتحتهـا تلقى خليـج الذكـر

ومن المفترجات الحادثة ، وهى بركة الأزبكية التى أنشأها الأتابكى أزبك سنة إحدى وثمانين وثمانمائة .

ما قيل فى بركة الرطلى[2] ، وهى من أحسن مفترجات مصر فى زمن النيل والربيع ، وكان منشؤها سنة خمس وعشرين وسبعمائة فى دولة الناصر محمد بن قلاوون ، وكانت تعرف بأرض الطبالة قديماً ، وفيها يقول الشيخ شمس الدين بن الصايغ الحنفى :

فى أرض طبالتنـا بـركـة مدهشـة للعـين والعـقـل

ترجح فى ميـزان عقلى على كـل بحـار الأرض بالرطل

1- قنطرة الدكة : هذه القنطرة كانت تعرف بقنطرة الدكة ، ثم عرفت بقنطرة التركمانى من أجل أن الأمير بدر الدين التركمانى عمرها ، وهذه القنطرة كانت على خليج الذكر ، وقد إنطم ما تحتها وصارت معقودة على التراب لتلاف خليج الذكر. (الخطط المقريزية ٣/١٥١).

2- بركة الرطلى : هذه البركة من جملة أرض الطبالة ، عرفت ببركة الطوابين من أجل أنه كان يعمل فيها الطوب، وفيها شخص يصنع الأرطال الحديد التى تزن بها الباعة، فسماها الناس بركة الرطلى نسبة لصانع الأرطال . (المرجع السابق ٣/ ١٦٢).

دولة الأقباط بمصر

قال المسعودى : كان عدة من ملك مصر من الأقباط سبعة وعشرين ملكاً أولهم دركون وآخرهم المقوقس .

آخر من حكم بها من القبط المقوقس . وقد أقام فى ملكه بمصر إحدى وثلاثين سنة .

وفى أيامه جاءت الروم وفارس إلى مصر، وحاربوا أهلها نحو ثلاث سنين من البر والبحر . فلما رأى المقوقس ذلك صالح الروم على أن يدفع إليهم قدراً معلوماً فى كل سنة . ويقرؤهم بمصر على عادتهم . ويكونوا القبط فى ذمة الروم.

ثم إن الفرس ظهرت على الروم فغلبوهم فصالحوا القبط الفرس كما صالحوا الروم . وأقامت مصر بين الروم والفرس نصفين نحو سبع سنين .

ثم تحاربت الروم مع الفرس فتظاهرت عليهم الروم وكسروا الفرس أشد كسرة وكان ذلك على عهد رسول الله ﷺ .

وقد نزلت هذه الآية :

﴿ الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ۝٣ فِي بِضۡعِ سِنِينَ .. ﴾ [1]

1- سورة الروم : الآيات من ١ : ٤ .

قال الليث بن سعد ﷺ: لما ملكت الفرس مصر أسست بناء الحصن، وهو المسمى الآن قصر الشمع [1]، فلما بلغ هرقل ذلك أمد المقوقس- صاحب مصر- بعساكر عظيمة، وحارب الفرس أشد المحاربة، فطردهم عن مصر، وأقام بنصره صاحب مصر المقوقس، واستمر المقوقس على مصر إحدى وثلاثين سنة، حتى فتحت على يد عمرو بن العاص ﷺ.

قال ابن عبد الحكم: لما كانت سنة ست من الهجرة ورجع رسول الله ﷺ من غزوة الحديبية بعث قصاده إلى الملوك[2] يدعوهم إلى الإسلام، فبعث حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم القبط بمصر، فلما دخل حاطب إلى مصر وجد المقوقس بالإسكندرية، فتوجه حاطب إلى الإسكندرية، فوجد المقوقس في قصر يشرف على البحر، فأشار إليه بكتاب رسول الله ﷺ بين إصبعيه، فلما رآه أشار لمن حوله بأخذ الكتاب منه، فلما وصل إليه وجده مختوماً بخاتم رسول الله ﷺ، فقبله ووضعه على عينيه.

فلما فضه وقرأه فإذا فيه: "

1- قصر الشمع: " في العصر الروماني كان يسمى بابيلون، وقد أطلق الفاتحون العرب عليه اسم قصر الشمع أي قصر المنارة ".(الكنائس القبطية القديمة في مصر ١/ ١٥٩).
" كان هذا القصر يوقد عليه الشمع في رأس كل شهر، وذلك أنه إذا حلت الشمس في برج من البروج أوقد في تلك الليلة الشمع على رأس ذلك القصر، فيعلم الناس بوقود الشمع أن الشمس انتقلت من البرج الذي كانت فيه إلى برج آخر، يقال أن فارس لما ظهرت على الروم وملكت عليهم الشام وملكت مصر، بدأت ببناء هذا القصر وبنت فيه هيكلا لبيت النار، ولم يتم بناؤه على أيديهم إلى ان ظهرت الروم عليهم، فتممت بناءه وحصنته، ولم تزل فيه إلى حين الفتح".
(الخطط المقريزية ٢/٢٨٧).

2- في هذا العام أرسل النبي ﷺ بعض أصحابه إلى ملوك ذلك الزمان، حاطب بن أبي بلتعة إلى المقوقس عظيم القبط، ودحية بن خليفة الكلبي إلى قيصر ملك الروم، وشجاع بن وهب إلى كسرى ملك فارس، وعمرو بن العاص الى ملك عمان، وعمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي ملك الحبشة. انظر (الرحيق المختوم ص ص ٣٢٠- ٣٣٠).

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد رسول الله إلى المقوقس عظيم القبط ، السلام على من اتبع الهدى أما بعد ، فإني أدعوك بدعوة الإسلام ، فأسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين ".

﴿ ... يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ﴾ [1]

فلما فهم ما في كتاب رسول الله ﷺ ، أخذه ووضعه في حق من عاج ، وختم عليه بالرصاص وتركه عنده .

قال أبان بن صالح : إن المقوقس أرسل إلى حاطب ذات ليلة وخلا به وليس عنده أحد إلا ترجمانه فقال لحاطب :

" ألا تخبرني عن أمور إذا سألتك عنها ، فإني أعلم أن صاحبك قد تخيرك حين بعثك " ؟.

فقال حاطب :" لا تسألني عن شئ إلا صدقتك عليه ".

فقال له المقوقس : " ما منع نبيكم أن يدعو عليّ ، فأسلب من ملكي "؟.

فقال حاطب: " ما منع عيسى بن مريم أن يدعو على من أبى عليه" .

فسكت عنه المقوقس ساعة.

1- سورة آل عمران : من الآية ٦٤.

ثم قال له حاطب : " إنه قد كان قبلك رجل ، زعم أنه الرب الأعلى ، فانتقم الله منه فاعتبر أنت بغيرك ، ولا يعتبر بك ، وما بشارة موسى بعيسى بن مريم إلا كبشارة عيسى بمحمد ﷺ.

ثم قال له المقوقس : " ماذا يدعو محمد إليه .."؟

قال له حاطب :" أن تعبد الله ولا تشرك به شيئاً ، ويأمرك أن تصلى فى كل يوم وليلة خمس صلوات ، وتصوم فى السنة شهراً ، وتحج البيت ، وتعطى زكاة مالك، وينهاك عن الخمر، وأكل الميتة والدم ولحم الخنزير" .

ثم قال المقوقس لحاطب : " أفى عينيه عروق حمر ، وبين كتفيه خاتم النبوة ، ويركب الحمار ويجتزى بالتمرات والكسر"؟.

قال حاطب : " هذه صفته " .

قال المقوقس : " قد كنت أعلم أن نبياً قد بقى ، وكنت أظن أن مخرجه من الشام ، ومن هناك كانت تخرج الأنبياء من قبله ، فأراه قد خرج من العرب فى أرض جهد وبؤس ، وإن القبط لا تطاوعنى فى إتباعه ، وأنا أعلم أن صاحبك سيظهر على البلاد ، وتنزل أصحابه بساحتنا هذه ، حتى يظهروا على البلاد وأنا لا أذكر للقبط شيئاً من ذلك " .

ثم إن المقوقس دعا كاتباً يكتب بالعربية ، فكتب كتاباً وهو يقول فيه: " من المقوقس عظيم القبط إلى محمد بن عبد الله، السلام أما بعد ، فإنى قد قرأت كتابك وفهمت ما فيه مما تدعوننا إليه من الإسلام ، وقد علمت أنك نبى مرسل ، وأنت خاتم الأنبياء ، وقد أكرمت رسولك غاية الإكرام ، وبعثت إليك على يده هدية " .